النقد والكتب

Catalogue of Dated Fabrics (Umayyad, Abbassid, Fatimid) by Ernest Kuhnel; Technical Analysis by Louisa Bellinger, Washington, National Publishing Company, 1952.

للدكتور محمد عبد العزيز مرزوق

أصدر متحف المنسوجات The Textile Museum فى مدينة وشنجتن ثبتا علميا بما فيه من المنسوجات الاسلامية المؤرخة التى ترجع الى العصور الوسطى يقع فى ١٣٧ صفحة من الحجم الكبير وبه ٥٢ لوحة على ورق مصقول بها ما يزيد على مائة وستين صورة •

ومؤلف الكتاب هو الاستاذ الدكتور ارنست كونل استاذ الآثار الاسلامية فى جامعة برلين ورئيس القسم الاسلامى فى متاحف الدولة ببرلين • وهو أحد العلماء الافذاذ فى الآثار الاسلامية • ومن أوائل من اشتغلوا بهذه المادة عمليا وعلميا ، فقد قام بحفائر أثرية كثيرة من أهمها حفائره فى مدينة « سرمن رأى أو سامراء » فى العراق ، كما أن له مؤلفات وأبحاث قيمة يكاد يخطئها العد ويكفى لتصورها أن من أقدم ما كتبه مؤلفه عن الفن الاسلامى فى بلاد المغرب والأندلس الذى أخرجه فى سنة ١٩٢٤ ، ومنذذلك التاريخ حتى الوقت الحاضر وهو متوفر على البحث دائب الانتاج فى هذه الناحية التى تدين له بالكثير من الآراء السديدة والنظريات التى يؤمن بها أكثر المشتغلين بالآثار الاسلامية فى الوقت الحاضر • وقد تتلمذ عليه أغلب الذين يشتغلون بهذا الموضوع فى الشرق والغرب سواء كانوا فى الجامعات أو فى المتاحف •

والكتاب الذى نحاول أن نعرّف القراء به هو آخر ما أخرجه هذا العالم العظيم يتناول دراسة طائفة من المنسوجات الاثرية الاسلامية المحفوظة فى المتحف سالف الذكر ، وهو وان كان فى مظهره وكما يدل عليه عنوانه ثبت للمنسوجات الإسلامية المؤرخة فى ذلك المتحف الا أنه فى حقيقته دراسة جامعة مانعة ـ كما يقول رجال المنطق ـ لهذه الناحية من نواحى الحضارة المادية عند المسلمين .

والواقع أن مصر قد أقرت عين الباحث فى الآثار بما أمدته به من تراث الاولين الذى يكاد ينتظم كل العصور التى مرت بالعالم قبل التاريخ وبعده، ذلك التراث العظيم الذى احتفظت به قائما على سطحها أو مطمئنا فى بطنها بفضل ذلك الجو الجاف الذى حبتها به الطبيعة ، ثم بفضل أرضها تلك الام الرءوم التى حافظت بطبيعة تكوينها على ما اؤتمنت عليه فى جوفها وكأنما كانت فى ذلك حريصة على أن ترينا عظمة السلف الكريم فأدت الامانة على أحسن وجه . وقد كان من أهم بقايا الماضى تلك المجموعات النفيسة من المنسوجات الاثرية التى أظهرتها الحفائر الأثرية منذ عصر الحملة الفرنسية والتى هى فى حقيقتها سجل لتاريخ مصر منذ العصور السحيقة حتى الفتح التركى .

وقد كشفت حفائر دار الآثار العربية ـ أو متحف الفن الاسلامى كما أصبحت تسمى أخيرا ـ عن كميات وفيرة من المنسوجات الاسلامية التى استخرجت من البقاع التى اتخذها المسلمون فى العصور الوسطى مكانا لدفن موتاهم حول مدينة الفسطاط . وتكوّن هذه المنسوجات سلسلة متصلة الحلقات تنتظم كل عصور التاريخ الاسلامى فى مصر ، وتمكن الباحث من أن يقف على التطور التدريجى فى تلك الناحية التى ذاعت فيها شهرة مصر قبل الاسلام وبعده . وقد تسرب من مصر ـ بوسائل شتى ـ جانب كبير من هذه المنسوجات واتخذ طريقه الى متاحف أوربا وأمريكا حيث استقر هناك ، ولئن كان يؤسفنا حقا أن يخرج تراثنا الاثرى من بلادنا الا أنه

يعزينا عن ذلك أن هذا التراث هو فى الحقيقة سفير دائم لنا فى الخارج يطلع الغير على صفحات مشرقة من مجدنا التالد هذا الى أنه ينال فى مواطن غربته من التقدير والاجلال نصيبا ملحوظا • والكتاب الذى بين أيدينا دليل على هذا التقدير والتمجيد •

والاقسام الرئيسية فى هذا الكتاب سبعة : الاول مقدمة ألمّ فيها المؤلف بنشأة نظام الطراز ونضوجه ثم تكلم على تطور الزخرفة على المنسوجات عبر العصور الاسلامية المختلفة •

والثانى هو ثبت وصف فيه المؤلف القطع المؤرخة وصفا نهج فيه منهجا جديدا ، ذلك أنه لم يثقل على القارىء بالتفاصيل التى قد تضيع بينها المزايا الحقيقية للقطعة فاكتفى باثبات الصورة الفوتوغرافية للقطعة ثم لخّص فى كلمات قليلة المعالم البارزة للزخرفة ان وجدت ، ثم أثبت النص العربى الموجود على القطعة معقبا عليه بتحليل محكم لما جاء فيه ومناقشة مدلوله ويختم كلامه بالاشارة الى القطع المعاصرة الموجودة فى المتاحف أو المجموعات الاخرى •

والقطع التى تناولها ترجع الى عهد الخليفة مروان الثانى آخر خلفاء بنى أمية ، ثم الى عصر المتوكل والمستعين والمعتز والمعتمد والمعتضد والمكتفى والمقتدر والقاهر والراضى والمتقى والمستكفى والمطيع والقادر من خلفاء بنى عباس • ثم المعز والعزيز والحاكم والظاهر والمستنصر والآمر والحافظ من خلفاء الدولة الفاطمية فى مصر •

ومن أهم ما جاء فى هذا القسم من الكتاب وصف قطعة من الكتان مطرز عليها نص يشير الى أنها عملت بالاسكندرية فى عصر الامام المعتمد بالله الخليفة العباسى سنة اثنتين وسبعين ومايتين بعد الهجرة وبها شريط من زخرفة هندسية جميلة قد ديجت بالحرير الازرق والاصفر ، واذا عرفنا أن هذه القطعة هى الوحيدة فى العالم التى تعطينا فكرة واضحة عن زخرفة أقمشة الاسكندرية فى العصر الاسلامى وعرفنا أيضا أن المتحف الاسلامى

بالقاهرة الذى يعد أغنى المتاحف فى المنسوجات الاسلامية ليس به قطعة من نسج الاسكندرية تجمع بين الزخرفة والكتابة التاريخية استطعنا أن ندرك مدى ما يمكن أن يفيده الباحث فى تاريخ حضارة الاسكندرية من هذا الكتاب •

والقسم الثالث يتناول بالدراسة قطعا من المنسوجات على الرغم من أنها لاتحمل نصا تاريخيا الا أن لها قيمتها فى دراسة النواحى الفنية من شتى زواياها فنذكر على سبيل المثال لا الحصر العصائب اليمنية Ikat والطنافس المصرية والاقمشة الهندية المتخذة من القطن والمزينة بزخارف مطبوعة •

والقسم الرابع خاص بالناحية الصناعية Technical Analysis وقد كتبته السيدة بلنجر ودلت بكتابتها على سعة اطلاعها فى هذه الناحية كما برهنت على أن الكشف عن طريقة الصناعة يعاون الى حد كبير المشتغلين بالتاريخ الفنى فى دراستهم وقد يجلى لهم بعض ما غمض من جوانبها •

والقسم الخامس جداول قد رتبت فيها القطع الموصوفة ترتيبا تاريخيا وبينت فيها مادة القطعة (الكتان أو القطن أو الصوف أو الحرير) ونوع الغرز stitches المستعملة واسم الطراز الذى نسجت فيه القطعة ونوعه (خاص أم عام) واسم الخليفة واسم الوزير واسم صاحب الطراز والتاريخ الهجرى للنسيج وما يقابله بالتاريخ الميلادى •

والقسم السادس بحث فيه المؤلف فى دور الطراز وفى المشرفين عليها بحثا وافيا أضاف به الكثير الى ما كان معروفا من قبل فى هذا الصدد •

والقسم السابع والاخير هو ثبت واف بأهم المراجع فى هذا الموضوع سواء ماكتب منها باللغات الاوربية أو باللغة العربية ويأتى بعده كشاف يسهل على القارىء سبيل البحث • هذا وفى الكتاب خريطتان احداهما لمصر

والاخرى لبلاد العرب والعراق وايران قدبنيت فيهما مراكز صناعة النسيج فى العصر الاسلامى •

وبعـد فأرجو أن أكون بهذه الكلمة الموجزة قد وفقت الى توجيـه النظر الى هذا الكتاب القيم ، ولعل فى صدوره مايحفز أولى الامر فى متحف الفن الاسلامى بالقاهرة الى العمـل على نشر ما فى ذلك المتحف من كنوز مجهولة للكثيرين ، فان فى هذا النشر أكبر خدمة للباحثين لاسيما المشتغلين بالتاريخ الاسلامى عامة وبالتاريخ المصرى الاسلامى خاصة الذى لا يزال يفتقر الى الكثير من العناية والدراسة •